

كرة القدم بين الفرجة والعنف - مقارنة سوسولوجية -

Football: between watching and violence is a sociological approach

الفرفار العياشي^{*1}¹ جامعة القاضي عياض (المغرب) elfarfarelayachi@gmail.com

تاريخ الاستقبال: 2020/04/14؛ تاريخ القبول: 2020/08/18؛ تاريخ النشر: 2021/01/15

ملخص الدراسة: الدراسة تحدف إلى مقارنة ظاهرة العنف الرياضي او العنف بالملاعب الرياضية ، من خلال رصد طبيعته و أسبابه و نتائجه. فكرة القدم ليست مجرد لعبة رياضية، أنها أكبر من ذلك بكثير ربما أصبحت مجال حرب غير أخلاقية تستعمل فيها كل الوسائل من اجل الربح. لعبة تحولت من مجال للفرجة و المتعة إلى فضاء مزدحم بالسياسة و الايديولوجيا و المال و الخرافة و العنف. و تحولت إلى مجال للصراع و العنف و التوثر من خلال حجم العنف المرتبط بها و بالملاعب، مما يولد الرغبة في محاولة فهم و مقارنة موضوع كرة القدم بين الفرجة و العنف من خلال معرفة الأسباب و الدواعي. و قد تم توظيف المقاربة السوسولوجية بالعمل على دراسة الإشكالية الأساسية و المتمثلة في أسباب الانتقال من الفرجة إلى العنف، و كيف نسفر خلفيات و دواعي العنف و الشعب الرياضي بناء على خدمات المنهج الوصفي التحليلي و قد خلصت الدراسة إلى العنف بالملاعب الرياضية هو عنف متعدد الأبعاد تغذيه عوامل نفسية و اجتماعية و اقتصادية و ثقافية متداخلة.

الكلمات المفتاحية: كرة القدم - العنف - الفرجة - مجموعات الالتراس.

Abstract: The study aims to approach the phenomenon of sports violence or violence in sports stadiums, by monitoring its nature, causes and results.

The idea of football is not just a sport game, it is much bigger than that, it may have become an unethical warfare field in which all means are used for profit. A game that has been transformed from a field of relief and pleasure into a space crowded with politics, ideology, money, myth and violence.

It became a game that turned into a field of conflict, violence and wealth through the volume of violence associated with it and the stadiums, which generates the desire to try to understand and approach the topic of football between watching and violence by knowing the causes and the reasons. He then used the sociological approach to work on studying the main problematic issue of the reasons for the transition from watching to violence

And how do we go about the backgrounds and causes of violence and sports riots based on the services of the descriptive analytical approach. The study concluded that sports fields are multidimensional violence fueled by interrelated psychological, social, economic and cultural factors.

Keyword: Football - violence - watching- Ultras groups.

1: مقدمة البحث :

كرة القدم لم تعد مجرد لعبة رياضية للفرجة والمتعة والتسلية، وإنما أصبحت فعلا سياسيا واقتصاديا وثقافيا، لدرجة ان هناك من جعل منها ديننا جديدا. المباريات لم تعد حدثا عاديا، وإنما تحضي بالكثير من الاهتمام والإعداد لاسيما على المستوى الأمني من اجل منع الشغب الرياضي عقب كل مباراة. فمباريات كرة القدم أصبحت مجالا للعنف والصراع وتحوّلت إلى معارك حقيقية (1). كرة القدم ليست مجرد لعبة رياضية ، أنها أكبر من ذلك بكثير ربما أصبحت مجال حرب غير أخلاقية تستعمل فيها كل الوسائل من اجل الربح. لعبة تحوّلت من مجال للفرجة والمتعة إلى فضاء مزدحم بالسياسة والايديولوجيا والمال والخرافة والعنف والتطرف. قيمتها وشعبيتها تكمن في قيمتها الفرجوية لأنها تمثل مجالا حيويا للترفيه الإنساني، وللتنفيس من ضغوط الحياة المعاصرة وإيقاعها السريع. إضافة إلى كونها قناة من قنوات الفعل السياسي و وسيلة ومن سائل التأثير السياسي والايديولوجي.

2 : إشكالية البحث

تتحدد وظيفة السؤال السوسولوجي حسب بيير بورديو على القدرة على معرفة الأسباب المخفية و استكشاف المسكوت عنه والمضمّر²، لذا يصبح الاستعانة بخدمات الفكر السوسولوجي أمرا ملحا. من اجل اختراق مناطق العتمة الكثيفة المحيطة بالعنف الرياضي و شغب الملاعب باعتباره حدثا مرعبا، و مخيفا في الوقت ذاته باعتباره عنفا متعدد الأبعاد. الكثير من الوقائع العنيفة المرتبطة بمباريات كرة القدم لاسيما من طرف مشجعي الفرق، و حجم الخسائر التي يخلّفها شغب الملاعب يقود إلى تبني فرضية حروب الملاعب، وان كرة القدم أصبحت ارض معركة مفتوحة، تتعدى حدود الملعب و رقعته و تتجاوز القوانين الرياضية و الأخلاقية المؤطرة للعبة، مما يقود إلى استنتاج أن كرة القدم لم تعد لعبة فقط و إنما هي أكثر من ذلك بكثير. أحداث ملعب هيزل الشهيرة و وفاة أكثر من 39 مشجع ايطالي، و إحداث بورسعيد الدموية و وفاة أكثر من 72 و اغلب الأحداث العنيفة المرتبطة بالمباريات لاسيما تلك التي تكتسي حساسية بين جماهير الفرق المتنافسة، الأمر يكشف حجم العنف المضخم. الأمر يقود إلى طرح إشكالية كيف تتحول فضاءات رياضية معدة للفرجة إلى ساحات حرب و اقتتال، و تخريب للممتلكات العامة و الخاصة ، ويمكن اجراء الإشكالية من خلال طرح السؤال الأساسي من أين يأتي هذا العنف و ما مصدره، وكيف يتحول فضاء فرجوي إلى فضاء للعنف بكافة أشكاله.

3 : أهمية الدراسة

تكمن أهمية الدراسة في تسليط الضوء على موضوع معقد و أصبح إشكالا راهنيا نتيجة خطورة فعل الشغب الرياضي المرتبط بملاعب كرة القدم.

الدراسة لها بعد وظيفي من خلال محاولة معرفة أسباب العنف الرياضي كعنف أصبح يتزايد مع تزايد الاهتمام بلعبة كرة القدم و شعبيتها الجارفة لاسيما أن اغلب جمهور كرة القدم من الشباب و هو ما يعني أن قوة الشباب و حيوتهم ربما لم تجد لها مخرجا للتنفيس و التفرغ إلا من خلال الأفعال العنيفة و الشغب الرياضي .

فالدراسة تروم تحقيق الأهداف الآتية:

أولا : طبيعة العنف الرياضي.

ثانيا : أسباب الشغب الرياضي.

ثالثا : إدراك طبيعة الهوية الاجتماعية لمجموعات " الالتراس " .

رابعاً : فرضيات الدراسة .

¹ مثال : مباراة ام درمان بين المنتخب الجزائري و المنتخب المصري و كيف توقف كل شيء سنة 2009 في إطار تصفيات المؤهلة لنهائيات كأس العالم 2020

² BOURDIEU(P) : Le sens pratique . Edition de minuit. Paris. 1980.p.88.

تعتبر الفرضيات تفسيرات مؤقتة للإجابة عن أسئلة الإشكالية المرتبطة بمعرفة أسباب الشغب الرياضي والهوية الاجتماعية لمجموعات الالتراس .

لذا و بالرجوع إلى ما كتب حول الموضوع إلى الملاحظات الأولية حول الظاهرة يمكن اقتراح الفرضيتين الآتين:

أولاً : أن أسباب العنف تعود إلى وجود مشاكل و ضغوطات اجتماعية مثل البطالة و المخدرات

ثانياً : ان أسباب الظاهرة يكمن في ظاهرة التعصب و غياب وعي رياضي يؤمن بالتنافس و بالروح الرياضية.

4 : منهج الدراسة.

المنهج هو عبارة عن مجموعة من الخطوات و الإجراءات الدقيقة و العلمية التي تقود إلى الحصول على المعطيات، والعمل على تحليلها بهدف تفسير الظاهرة موضوع البحث و الدراسة.

لانجاز الدراسة ثم الاعتماد على خدمات المنهج الوصفي التحليلي من اجل جمع معطيات أولية حول موضوع الدراسة، لاسيما معرفة خصوصية الشغب الرياضي و الطبيعة الاجتماعية لمجموعات الالتراس، من خلال رصد توجهات و سلوكيات المشاغبين و قيمهم و أسباب العنف و مبرراته.

الدراسة يمكن تصنيفها ضمن البحوث الاستطلاعية التي تهدف إلى استكشاف الظروف المحيطة بالظاهرة، حيث مجتمع الدراسة كبير و يصعب مسحه بشكل كلي مما فرض ضرورة استخدام أسلوب العينات، من خلال الاعتماد على العينة العشوائية و القيام بكافة الإجراءات للحصول على المعطيات المراد الوصول إليها خدمة لأهداف الدراسة و اشكالياتها. وقد تم الاعتماد على تقنية الاستمارة سواء التقليدية و الاستمارة الالكترونية عبر خدمات غوغل درايف ، اضافة إلى اعتماد تقنية المقابلة كما سيتم الاستفادة من التقارير الأمنية المنجزة من طرف السلطات العمومية المنجزة حول بعض مظاهر العنف الرياضي (3).

أولاً : بالنسبة لتقنية الاستمارة فقط تم اعتماد نوعين من الاستمارات:

- الاستمارة الالكترونية عبر خدمة "غوغل درايف"، كانت استمارة مفتوحة مع توجيه دعوات الالكترونية للتفاعل معها لأصدقاء الصفحة الشخصية للباحث على "شبكة الفيس بوك" بتاريخ 12 فبراير 2019. و قد تفاعل مع هذه الاستمارة 60 مستجوب.
- الاستمارة العادية : و جهت إلى 40 مستجوب.

ثانياً : بالنسبة لتقنية المقابلة: فقد شملت ثم اللجوء إليها بناء على نتائج الأجوبة الخاصة بالاستمارة المكتوبة لاسيما المستجوبين الذين أكدوا أنهم لا يملكون أي حساب في شبكة التواصل الافتراضي و لا يستخدمون الانترنت الأشخاص الذين لا يملكون أي حساب في أي شبكة من شبكات التواصل الاجتماعي.

5: نتائج الدراسة

1-5 : حول طبيعة العنف الرياضي و خصوصية المشاغبين.

من اجل معرفة طبيعة العنف الرياضي سيتم البحث في أسباب و دواعي هذا العنف من خلال تجميع معطيات عن طريق الاستمارة

الجدول الاول : يبين أسباب العنف الرياضي في نظر المستجوبين (4)

أسباب العنف الرياضي	التكرار
هزيمة الفريق	20
فساد الحكم و الرشوة	14
فريق ضعيف	10
الاحتجاج على تسيير شؤون الفريق	10

³ تقرير مصالح امن ولاية قلعة السراغنة بعد الاحداث الدموية التي عرفتها مباراة محلية جرت سنة 2018 بين فريق المحلي و فريق مدينة العيون

⁴ الدراسة الميدانية 2019

11	الرد على جمهور الفريق المنافس
45	عدم الجواب

من خلال النتائج المتوصل به يتضح ان اغلب المستجوبين و الذين بلغت نسبتهم 45 في المائة رفضوا الإجابة او التعامل مع الاستمارة و هو رفض له ما يبرره،ربما الخوف من أية متابعة لاسيما ان السؤال الأساسي الموجه لهم هو ماهي أسباب الشغب داخل الملاعب. في حين عبر باقي المستجوبين أن أسباب العنف تعود إلى عدم الرضي و القبول بالنتائج التي يحققها الفريق. في حين اعتبر 11 في المائة من المستجوبين ان سبب الشغب هو رد الفعل اتجاه استفزازات جمهور الفريق المنافس. و من اجل معرفة الوضعية الاجتماعية لبعض المنتمين لمجوعات التشجيع الالتراس تم إجراء مقابلة مع رئيس المجموعة و الذي يحمل لقب الكابو او القايد م - م و هو قائد مجموعة حراس القلعة.

الحالة الاجتماعية لقائد مجموعة الالتراس حراس القلعة (5)

المعطيات	الحالة
19	السن
تلميذ	المهنة
عامل بمجال البناء	مهنة الأب
90	عدد المنخرطين

من خلال المقابلة كشف م م قائد مجموعة الالتراس حراس القلعة أنهم يضحون من اجل الفريق و من اجل المدينة، و أنهم ينتقلون مع الفريق لينما كان، و أنهم يتكون منازلهم و أسرهم من اجل الفريق و بالتالي على الفريق ان يقدر مجهودات المجموعة و أن ينتصر، و ان أي هزيمة للفريق تعني عدم تقدير الجهود المبذولة، كما أشار إلى ان المجموعة لا تتلقى أي دعم من أية جهة. و من اجل معرفة الحالة الاجتماعية للمتورطين في أعمال عنف و شغب بناء على تقارير أجهزة الأمن الوطني ثم الوقوف على المعطيات الآتية:

المعطيات الخاصة بالمتابعين بسبب اعمال الشغب (6)

25	عدد المتابعين
ذكور	الجنس
ما بين 15 و 30 سنة	السن
عقوبات حبسية موقوفة التنفيذ و غرامات مالية	الإجراءات المتخذة
التخريب - الاعتداء - الضرب و الجرح بواسطة السلاح الابيض	طبيعة العنف

من خلال المعطيات المتوصل بها يتبين ان اغلب المشاغبين ومحدثي العنف، و المتسببين فيه تتراوح أعمارهم ما بين 15 سنة و 30 سنة أي ان فيهم قاصرين و مراهقين و أنهم من الذكور، و هو ما يكشف ان العنف الرياضي هو عنف ذكوري مرتبط بثقافة ذكورية تتحدى القانون، وهو ما يدعو إلى إعادة استعادة أسس نظرية بيير بورديو حول الهيمنة الذكورية حول ظاهرة العنف و العنف المضاد و أشكال الهيمنة الذكورية و أبعادها الثقافية و السلوكية.

⁵ المقابلة مع قائد الالتراس حراس القلعة سنة 2019

⁶ تقرير الاجهزة الامنية عن مباراة وداد قلعة السراغنة و نادي ازلال 2018

لذا و من داخل هذه النظرية يمكن فهم عدم وجود النساء داخل الملاعب و المدرجات التي أصبحت عنيفة و تمارس فيها أعلى درجات العنف و التوثر وهو ما يلاءم ثقافة المرأة المسلمة و الخاضعة بدورها للعنف الرمزي من خلال مؤشر على الانضباط و احترام النظام العام. و فق نظرية بيير بورديو ، فان المجال المخصص للمرأة هو الفضاءات الخاصة داخل الأسرة لا خارجها، وهو ما يفسر ان المرأة ورغم موجة الانفتاح و الدفع بما إلى خارج فضاءها الخاص و المعلق إلى الفضاء العام، كان لأسباب رسمية و مؤسساتية، لاسيما ارتفاع منسوب تعلم الفتاة و الولوج إلى الوظائف العامة و حتى الخاصة.

ورغم ان خروج المرأة من عالمها الخاص إلى الفضاء العام، فأنتها لم تكتسب بعد صلاية الحضور في فضاء عنيف (موجة التحرش و العنف ضدها)، لذا يفهم سر حرص النساء على احترام القانون و البقاء في فضاءها الخاص بناء على قناعاتها المتوارثة أن الفضاء العام هو فضاء العنيف، و ما زلت لم تكتب بعد آليات التوافق معه او ما يسميه بورديو بالايبتوس الاجتماعي .

فالمرأة لا تحضر المجالات المخصصة للذكور و بذلك تنكشف آليات القوة الرمزية تمارس على النساء داخل مجتمعات ذكورية، و هي ثقافة تتم عن طريق استدماج مفاعيل الخضوع و الاستسلام كفعل سحري غير مرئي، و ربما يكون بقبول النساء أنفسهن، ففعل الهيمنة هو عمل تحويلي يزداد قوة بقدر ما يمارس بأسلوب لامرئي(7)

وفق التمثلات الاجتماعية، فالفضاء الخاص محجوز للمرأة و هو مجالها الحيوي، في حين الفضاء العام هو فضاء مخصص للذكور و سلطة الذكور و هيمنتهم ، مما يمنحهم الاعتقاد انه ملك لهم ، يصعب إقناعهم بالعودة إلى الفضاء الخاص المخصص للنساء.

و بحسب هذه التمثلات الذكورية للفضاءات فان الملاعب و المدرجات هي أماكن مخصصة للذكور و ليس للنساء، وان حضور المرأة إلى المدرجات بجانب الرجل هو انتقاص منهم و من فحولتهم ، و النتيجة فعل صدامي بين رجال السلطة العمومية و التي تعمل على إخلاء الفضاءات العامة كشرط للسلامة ، و بين من يتمثلون الفضاء العمومي كفضاء ذكوري مخصص لهم لاستعراض فحولتهم وذواتهم ، وان اي دعوة إلى الخروج من الفضاء العام إلى الفضاء الخاص ، هو تقيص منهم و اساءة لا يمكن تقبلها ، و لعل حجم و كثافة التعبيرات الصادرة عن الشباب في مقابل الدعوة بالبقاء بالمنزل كفضاء خاص ، تكشف حجم المشكل و طبيعته كمشكل ثقافي اولا، حيث نجد الكثير من العبارات مثل

- مالي امرأة حتى نجلس في الدار : لست امرأة حتى اجلس بالمنزل.

- راه غ ليعلات لي كظلوا في الدار : النساء هن من يجلسن بالمنزل.

و بخصوص وضعيتهم الاجتماعية ثم الوقوف على الملاحظات الآتية (8):

العدد	الحالة
15	بدون سوابق
10	لهم سوابق و صادرة في حقهم عقوبات سابقة

⁷ بيير بورديو، الهيمنة الذكورية، 2009 ترجمة سلمان قعفراني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت،

⁸ تقرير الاجهزة الامنية عن مباراة وداد قلعة السراغنة و نادي ازيلال 2018

يتضح ان 10 من أصل 25 متابعا لهم سوابق إجرامية و ان يستغلون الفضاءات المفتوحة لإعادة ارتكاب جرائم و تخريب المنشآت العمومية.

و حول الوظيفة السوسيو مهنية الخاصة بالموقوفين بسبب العنف و تخريب المنشآت العامة تم الوقوف على المعطيات الآتية:

الوضعية السوسيو مهنية للموقوفين بناء على إحداث شغب رياضي (9)

الحالة	التكرار
لهم عمل او وظيفة	02
بدون عمل	23

من خلال المعطيات المستخلصة من تقارير الأجهزة الأمنية الموكول لها تامين المباريات الرياضية، يتضح ان حوالي 92 في المائة من المشاغبين لا يتوفرون على عمل او على أية وظيفة اجتماعية. و هو ما يعكس ان هناك علاقة و ترابط مبررا احصائيا بين الوضعية السوسيو مهنية و الشغب الرياضي، و انه كلما قل الاندماج الاجتماعي كلما كان التصرف عنيفا و ضد النسق العام وفق مقومات النظرية الوظيفية، فالشغب الرياضي هو نتيجة مباشرة لغياب الاندماج الاجتماعي في مجال أو سوق الشغل، أي انه مؤشرا على التمرد والاحتجاج. فعدم الاندماج الاجتماعي و ما يرافقه من استعمال المخدرات في المدرجات دون أي توجس، او خوف من السلطات العمومية نتيجة الاحتماء بالحشود الغفيرة و الاختباء وسطها.

5-2 : العنف الرياضي كعنف متعدد الأبعاد.

مؤخرا في مباراة لكرة القدم بين فريقين عربيين في نهائي عصبة الإبطال بين الترجي التونسي و الوداد الرياضي للموسم الرياضي 2018 ، توقف كل شئ و تحول النقاش العمومي إلى نقاش حول كرة القدم، لا حديث يعلو على وقائع المباراة و أسباب توقفها و مسارات ما بعد التوقف، وعن المؤامرة و البيع و الفساد وعن مصير الكأس و اجتماعات إدارة الكاف لتقرير في مصير المباراة / المعركة. النقاش كان كثيفا و متضخما مليئا بالتفاصيل الكثيرة ، مما يقود إلى استنتاج أساسي ان كرة القدم أصبحت انشغالا يوميا للمواطن و ربما قضية وطنية تحضي بالأولوية المطلقة في سلم أولويات مواطن مفهوم. حكم المباراة انتهت صلاحيته، و صفارته لم يعد لها معنى. توقف كل شئ، و حدهم السياسيون يعيشون أسوأ لحظاتهم، رغبة في إيجاد مخرج امن لتفريق حشود بشرية قد تفعل أي شئ و كل شئ. نزل رئيس الكونفدرالية إلى الملعب و كل الطاقم الإداري في سوك مرفوض رياضيا ، توقفت المباراة ، و اعلن الترجي فائزا بقرار من رئيس الحكومة التونسية و لدواعي أمنية !

بتونس هناك فويا من التجمعات، و من الحضور الجماهيري، إنما الدولة العربية التي دشنت شرارة التغيير فيما سمي بموجة الربيع العربي بعد حادثة إحراق البوعزيزي لنفسه فالأمن أولا و الأمن اخيرا، الحشود لا يمكن التحكم فيها لا بإرضاء كبرائها، هكذا فكر المسؤولون في إيجاد حل امني لمباراة كانت سياسية و تجارية قبل ان تكون رياضية.

كرة القدم أصبحت فعلا سياسيا ورهانا اقتصاديا و منتوجا معولما، تعمل من خلالها نظم و شركات العولمة على نشر قيمها، ربما هي الأداة الأكثر فعالية لنشر قيم العولمة و صناعة مواطن عالمي لا يهتم بترائه و قيم مجتمعه، لأنه مشغول بأخبار الفرق العالمية و إخبار نجوم كرة القدم، انجازاتهم، انتقالاتهم و كل التفاصيل الصغيرة و الكبيرة حول حياة الفريق و النادي و اللاعبين.

⁹ تقرير الاجهزة الامنية عن مباراة وداد قلعة السراغنة و نادي ازلال 2018

ان العولمة و عبر كرة القدم استطاعت توحيد الزمن رغم اختلاف الجغرافيا. أكثر من مليار و نصف مشاهد و في لحظة واحدة يتشاركون نفس الزمان ويعيشون نفس الحدث ويتقاسمون نفس الإحساس انه زمن كرة القدم - كأس العالم - مثلا او مباراة الريال وبرشلونة او الريفيرو بوكا جونيور و الرجاء و الوداد و الزمالك و الاهلي و مولودية الجزائر و اتحاد الجزائر و غيرها من الديربيات المعروفة. يقول إدواردو غالينانو: "كلما تحولت هذه الرياضة إلى صناعة، يتم استبعاد الجمال الذي يتولد من متعة اللعب لمجرد اللعب"، (10) فكرة القدم لم تعد لعبة و رياضة تسود فيها الروح الرياضية ومؤسسة على قيم المحبة و التعارف و التنافس الشريف، و إنما أصبحت صناعة و تجارة و سياسة و أمن.

مع نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، أصبحت كرة القدم لعبة عالمية، فقد انتشرت و تعممت في مناطق نفوذ الاستعمار الإنجليزي في مناطق مختلفة من العالم، وأدى ذلك إلى إنشاء الاتحاد الدولي لكرة القدم، والذي يُعرف اختصاراً بالفيفا (FIFA) عام 1901م. تعد كرة القدم أكثر أنواع الألعاب الرياضية العالمية شعبيةً وحضوراً، إذ يتجاوز جمهورها المليار متفرج حول العالم وهو رقم مهم ومغري للشركات كسوق تجارية مرحة. انها لعبة لا تعرف حدوداً جغرافية أو هويات دينية أو عرقية أو قومية، بل هي أشبه بلغة عالمية توحد البشر، وهي الوسيلة الوحيدة لتوحيدهم خلال التظاهرات الرياضية الكبرى، سواء تظاهرات كأس العالم او الديربيات العالمية مثل الريال و برشلونه و الريفيرو و بوكاجونيور، ليفربول و المان سيتي، اليوفي و الاثتير و غيرها من المباريات التي تشد كل الأنظار، حيث تحتفي كل الفوارق و كل الخصومات و لا تبغ غير خصومة كرة القدم و العنف الناتج عن كرة القدم في حالة الغضب الجماهيري .

فكرة القدم لها جاذبية سحرية وهذا سر قوتها و قيمتها، لدرجة ان إدواردو غالينانو اعتبرها بالديانة الجديدة [11]. بعض عشاق و مشجعي اللاعب الأرجنتيني ماردونا قاموا ببناء كنيسة المارادونية (IglesiaMaradoniana) والتي تعرف أيضاً باسم كنيسة ماردونا، هي كنيسة تم تكريسها في مدينة روساريو بالأرجنتين تقديساً لاسم ماردونا حيث اعتبر صور من صور الرب على الأرض و قد أسست هذه الكنيسة في 30 أكتوبر 1998 وهو تخليداً لذكرى ميلاده.

لا احد ينكر القيمة الفرجوية لكرة القدم حيث أصبحت وسيلة للترفيه الإنساني، كمجال للتنفيس من ضغوط الحياة المعاصرة وإيقاعها السريع. لكنها أصبحت قناة من قنوات الفعل السياسي و وسيلة ومن سائل التأثير الايدولوجي، من اجل صناعة رأي عام موالي او مضاد لأي نظام سياسي، في الكثير من المباريات تتحول مباريات كرة القدم إلى استمرار لسياسة حربية تخاض على أرضية الملعب و في قنوات التلفاز و في البرامج و الأخبار و الندوات و في شبكات التواصل الاجتماعي من اجل خلق تعبئة وطنية : مباراة إيران و الولايات المتحدة الأمريكية و مباريات قطر ضد الإمارات و السعودية الأخيرة.

البعد السياسي للعبة لا يعني غياب الأبعاد الفرجوية و أجواء المتعة النفسية التي تصنعها، لان الفضاء الذي يوفره فعل التشجيع يمنح الأفراد قدرة خلاقة على إعادة صياغة ذواتهم وبناء عوالم جديدة في إطار جمعي عبر حشود يختارها الفرد بطواعية، من اجل التعبير عن ذاته في إطار حماسي يشكل فرصة لتفريغ كل المكبوتات، وبالتالي تحقيق راحة نفسية و تحقيق توازن ربما كان مفقودا بسبب كثرة الضغوطات الاجتماعية، وهو ما يقود إلى فرضية ام الملاعب تشكل عيادة جمعية للتفريغ و العلاج. كرة القدم تعتبر من أهم آليات العولمة لبناء هويات جديدة مؤسسة على قيم نمطية بتفكيك أسس الهويات المحلية و المتمايزة، واستبدالها بهوية واحدة و معولمة تملك نفس

¹⁰ إدواردوغالينانو، كرة القدم بين الشمس والظل، ت: صالح علماني، دار طوى للنشر، 1995م ص 66

¹¹ إدواردوغالينانو، المرجع السابق ص 69

الخصائص حيث يصبح لاعبي كرة القدم ملهمي الشباب في تثبيت القيم وبناء أتماط جديدة للسلوك الاجتماعي، بما يقود إلى إنتاج مواطن عالمي يتنفس كرة القدم.

وفي مستوى آخر، توظف النظم الحاكمة في الدول النامية كرة القدم لأغراض دعائية، على سبيل المثال: رأينا كيف يوظف نظام السيسي تأهل المنتخب المصري إلى كأس العالم ويقدمه على أنه منجز من منجزات نظامه. وكيف سوقت ايران انتصارها على السعودية و الإمارات على انه انتصار على مشروع الحصار.

يعتبر بعض أنصار الفريق الأرجنتيني ان الهدف الذي سجله دييغو مارادونا في مرمى الانجليز في كأس العالم لسنة 1986، عندما قام بمراوغة ستة لاعبين من المنتخب الإنجليزي ثم حارس المرمى، كان انتقاما سياسيا من القوات البريطانية و رد الاعتبار لكبرياء الجيش الأرجنتيني على هزيمتها في حرب جزر الوكلاند عام 1982. لدرجة أعتبره البعض أنه الإله مارا دونا خاصة عندما علّق على هذا الهدف وقال: إن يد الله هي التي أحرزت هذا الهدف. وعلى الرغم من كل ذلك، لا تزال كرة القدم تلعب دوراً هاماً في تكريس التعايش، والتقارب الإنساني، حيث إنّ أماكن الفرجة والتشجيع تمثل نقطة التقاء وتقارب بين المشجعين، ومن خلالها يكونون فضاء مشترك إنساني. كرة القدم أصبحت فعلا تجاريا، وهنا يكمن أصل المشكل، حيث الربح المادي و الخسارة هو الهاجس الأساسي المتحكم في المباريات لاسيما ضغط شركات الرهان الرياضي، بمعنى لعبة بمثابة ارض حرب ومواجهة مفتوحة تستعمل فيها كافة الوسائل من اجل غاية وحيدة، الربح و المزيد من الربح.

إنها طريق للصراع و التنافس الغير الأخلاقي لان الأمر لا يتعلق بفوز عادي و مقابل خسارة عادية تنتصر في الاخير الروح الرياضية، والأفضل هو من يفز و يخرج الجمهور راضيا مستمتعا بأداء كروي في إطار من المتعة و الفرجة بعيدا عن منطق التشنج و التعصب.

أن تصبح كرة القدم فعلا تجاريا معناه البحث عن الانتصار بكافة الطرق، وهو ما يفتح الباب أمام المنطق المكيفلي حيث الغاية تبرر الوسيلة، لاسيما في دول العالم الثالث حيث شبكات الانتماء و الوطنية و الغيرة ترتبط بكرة القدم و الفريق المحلي او الوطني.

لا يمكن ان تنتصر قيم كرة القدم المؤسسة على التنافس الرياضي الشريف حين تصبح الرياضة فعلا تجاريا، لان خسارة من شائها إلحاق خسائر بالبورصة و خسائر لشركات الرهان الرياضي، و خسائر امنية نتيجة الشغب و العنف المتزايد و ارتفاع منسوب الحقد و التخريب.

لعل الأحداث المأساوية في التاسع و العشرين من ماي 1985 بملعب "هيزل" حيث أحداث شغب فائقة الخطورة بسبب مشجعي فريق ليبربول و جيفنتوس بمناسبة نهائي الكأس الأوربية هي الأحداث التي خلفت 39 قتيلا . فأصبحت الرياضة وكرة القدم طريقا للقتل الجماعي.

حين تحولت لعبة كرة القدم من فعل فرجة و فعل رياضي مؤسس على قيم المحبة و التعارف و الفرجة، إلى فعل سياسي و تجاري و امني أصبحت فعلا معقدا تستفيد منه مؤسسات العولمة الباحثة عن الربح الصافي، ولو على حساب الكثير من الخسائر و المعاناة .

كرة القدم فعل شعبي ساهمت إلى حد كبير في ديمقراطية اللعبة، لأنها كانت لعبة شارع و كانت موضوع فرجة للجميع، لكن الامور تغيرت بسبب مسلسل و تأثيرات العولمة للعبة تغير كل شيء، أصبحت لعبة نخبة حيث نجوم كرة القدم لم يعدوا يصنعون بشكل تلقائي في الازفة، و الشوارع و إحياء المدن القديمة كما هو الحال في التجربة البرازيلية.

الآن تغير كل شئ أصبحت الأكاديميات هي المصنع الأول للنجوم و المدارس الخاصة بالأندية ، وهو ما يعيد طرح إشكالية إلى أي حد ما زالت كرة القدم لعبة شعبية مفتوحة أمام الجميع، و للجميع سواء في ممارستها او حتى في الفرجة مادام اغلب أن نقل المباريات أصبحت مملوكة لشركات و بشكل حصري.

كرة القدم لم تعد لعبة شارع و ليست لعبة محدودة بمحدود المستطيل الأخضر، وانا هي ظاهرة مركبة يتداخل فيها السياسي بالتجاري بالاقتصادي و بالقيمي و الثقافي و الاجتماعي مما يجعلها ظاهرة معقدة تزداد تعقيدا كلما ازداد تدفق المال حولها. ربما المال يقود إلى الخراب و العنف و استبدال البعد الفرجوي بالبعد التكتيكي، لان المهم هو الفوز باي ثمن، وان الفرجة ليس انجازا ، لان الأهم هو تحقيق أكبر قدر من الأرباح و لو على حساب القيم الرياضية.

3-5 : العنف الرياضي : الماهية و الأسباب.

تتحدد وظيفة السؤال السوسولوجي حسب بييربورديو على القدرة على معرفة الأسباب المخفية واستكشاف المسكوت عنه والمضمر، لذا يصبح الاستعانة بخدمات الفكر السوسولوجي أمرا ملحا. من اجل اختراق مناطق العتمة الكثيفة المحيطة بالعنف الرياضي و شغب الملاعب، باعتباره حدثا مرعبا و مخيفا في الوقت ذاته.

من خلال نتائج البحث المحصل عليها سواء عن طريق الاستمارات او المقابلات او دراسة تقارير أجهزة الأمن يتضح أن الشغب و العنف المرافق للمباريات الرياضية مرتبط بالوضعية الاجتماعية للمشاهير، حيث تبين ان 92 في المائة منهم لا يتوفرون على عمل.

الوقائع العنيفة و المأساة المرتبطة بمباريات كرة القدم لاسيما من طرف مشجعي الفرق، و حجم الخسائر التي يخلفها شغب الملاعب يقود إلى تبني فرضية حروب الملاعب، وان كرة القدم أصبحت ارض معركة مفتوحة، تتعدى حدود الملعب و رقعته و تتجاوز القوانين الرياضية و الأخلاقية المؤطرة للعبة، مما يقود إلى استنتاج أن كرة القدم لم تعد لعبة فقط وإنما ساحة حرب.

أحداث ملعب هيزل الشهيرة و وفاة أكثر من 39 مشجع ايطالي، وأحداث بورسعيد الدموية و وفاة أكثر 72 مشجع يكشف حجم العنف المضخم ، المحيط بلعبة ربما قد تتحول إلى لعبة عنف و شغب.

الأمر يقود إلى تساؤل أساسي من اين يأتي هذا العنف و ما مصدره، وكيف يتحول فضاء فرجوي إلى فضاء للعنف بكافة أشكاله. عنف الملاعب هو عنف يلفه الغموض ، لأنه عنف مخفي ، و قد يكون أسوأ أشكال العنف بحسب بيير بورديو. ارتبط تنظيم المسابقات الرياضية بالعنف في الكثير من مراحل تاريخ الإنسان، لاسيما في القرون الوسطى حيث كان الفعل الرياضي هو احتفاء بالعنف و تمجيد للقوة.

فالرياضة هي فعل تنافس من اجل الفوز، وهو ما يقود إلى وجود طرفين في أي لعبة منتصر و منهزم ، الإحساس بالهزيمة يغذي مشاعر الإحباط و يقود إلى سلوكيات عدوانية على الطرف الآخر، وهو سلوك قديم نجده أسسه في حلبة المصارعين gladiateurs Les (12) وفق ما أشرت اليه موسوعة ويكي بيديا.

فالعنف ينتقل عبر العدوى مما يوسع دائرته، و هنا تكمن خطورته كونه عنف انتشاري يتمدد بسرعة في وجود سياقات اجتماعية ملائمة، كتلك التي توفرها فضاءات الجماهير و الحشود، مما يعقد مهمة التحكم فيه حين يتجاوز حدود الملعب و ينتقل عبر العدوى إلى المدرجات و الجماهير المتحمسة. فكل هزيمة هي تغذية لمشاعر الإحباط عندها يقود إلى ارتفاع منسوب التوتّر، والعنف المادي اتجاه

¹² L'un des premiers actes d'hoooliganisme attestés dans l'histoire remonte à l'Empire romain lorsqu'en 59 eut lieu dans l'amphithéâtre de Pompéi pendant un spectacle de gladiateurs une rixe entre habitants de la cité et habitants de Nucérie.

المشجعين الفريق الاخر و ضد الممتلكات العامة. إحداه ملعب هيزل سنة 1985 (13) كانت لحظة حاسمة و مؤثرة في تاريخ العنف الرياضي و لفتت الانتباه إلى خطورة الفعل.

مند تلك اللحظة اصبح مفهوم مثيرو الشغب و صانعي العنف في المدرجات مفهوما مركزيا عبر الحديث عن ظاهرة الهولوغانز. الذي يعني في اللغة الإنجليزية الشغب و الفوضى، و قد ذكر الاسم أول مرة في تقارير شرطة لندن في صيف عام في إشارة إلى سكير ايرلندي سيء السمعة، اسمه باتريك هوليجان يعيش في لندن ويشترك بانتظام في مواجهات شوارع لندن، و كان شخصا عنيفا لا يؤمن إلا بالعنف لتدبير حياته و نزاعاته(14).

و هناك من يعتبر أن أصل الكلمة مشتق من الاسم سيكون شخصاً يتصرف بنفس الطريقة، فرضية أخرى هي أن هذا الاسم يأتي من اسم عصابة HooleyIslington .

تعتبر إحداه ملعب هي للحظة حاسمة التعاطي بجدية مع ملف شغب الملاعب، حيث أصبحت الفرحة مرتبطة في أحيان كثيرة بالعنف، وأصبح هاجس تدبير المباريات محكوما بأعداد خطط لمواجهة أي تهديد محتمل.

ظاهرة الشغب ستعرف انزياحات متوالية عن متنها الأصلي، ذلك بدءا من تجاوز رقعة الملعب في شكل اشتباكات بين اللاعبين أو اعتداءات على الحكام، إلى المدرجات في صيغة مشاحنات بين المشجعين و أجهزة الأمن، و أخيرا في مستوى نقل ممارسات الشغب إلى خارج الملعب بتخريب الممتلكات الخاصة و العامة.

فالشغب هو اعتداء جماعي على الأفراد و على الممتلكات العامة و بهدف الاضراروالحاق الاذى. و قد عرفه ابن خلدون باعتباره نزعة طبيعية، حيث ان أخلاق البشر فيهم الظلم والعدوان، بعض على بعض، فمن امتدت عينه إلى متاع أخيه امتدت يده إلى أخذه إلى أن يصدده وازع (15)، واعتبر ان سبب العنف فهو العصبية، وتعني عنده: الالتحام الذي يوجب صلة الأرحام حتى تقع المناصرة (16)، وأساس العصبية عند ابن خلدون هو الاستعداد الفطري الذي يدفع الفرد إلى نصرته قريبة بالدم والدفاع عنه.

توماس هوبز احد منظري فلسفة العقد الاجتماعي اعتبر أن الطبيعة الإنسانية مشبعة بالعنف، وان الإنسان ذئب لأخيه الإنسان نتيجة الإشباع المحدود للرغبات مما يولد صراعا حولها، ما يقود إلى حرب الكل ضد الكل نتيجة التنافس الشامل اما ماركس فقد اعتبر أن العنف ليس فعلا غريزيا، و لا يمثل حالة الطبيعة و أما هو سمة للحالة الاجتماعية التي أفسدها الاستحواذ بوسائل الإنتاج، فالتنافس بين الناس سبب عامل سياسي يتعلق بملكية وسائل الإنتاج، لذلك فإن الصراع ليس هو الحرب الشاملة وفق ما أشار إليه توماس هوبز و لكن هو صراع طبقات اجتماعية.

و اعتبر كارل ماركس اعتبر ان للعنف دورا وظيفيا بناء و ايجابيا، لأنه أداة من اجل صناعة التغيير و تحقيق العدالة الاجتماعية بالقضاء على الملكية الفردية لوسائل الإنتاج.

فالعنف فهو شرط أساسي لتجاوز هذا الخلل ولإحداث التغيير فهو مولد كل مجتمع قديم يحمل في طياته مجتمعا جديدا كما أنه الأداة التي تحل بواسطتها الحركة الاجتماعية مكانها وتحطم أشكالاً سياسية جامدة وميتة(17).

¹³ جاءت كارثة ملعب هيزل خلال مباراة كأس أوروبا النهائي بين ليفربول ويوفتوس في عام 1985 في بروكسل، عاصمة بلجيكا. وبدأت الكارثة قبل وقت قصير من انطلاق المباراة إلى أعمال العنف تجاه مشجعي يوفتوس، وذلك خلال سقوط إحدى جدران الملعب وتراجع الإيطاليين في خط المواجهة والضغط ضد جدار الملعب. تم التدافع والدهس حتى الموت في حالة من الذعر. تسبب انهيار الجدار إلى وفاة عدد كبير من المشجعين. وانتشرت فوضى عارمة في محاولة لحفاظ المشجعين في الملعب على سلامتهم. فقد نحو 39 شخصا حياتهم في هذا اليوم وأصيب نحو 600 مشجع بالجروح.

إدواردو غالينانو، كرة القدم بين الشمس والظل، ت: صالح علماني، دار طوى للنشر، 1995م

¹⁵ عبد الرحمن بن محمد بن خلدون: مقدمة ابن خلدون، تحقيق علي عبد الواحد وافي، ج2، ط3، (القاهرة: دار نضرة مصر، بلا سنة طبع)، ص482.

¹⁶ المصدر نفسه: ص484.

¹⁷ فيليب برنو: العنف وعلم الاجتماع، في المجتمع والعنف، تأليف فريق من الاختصاصيين، ترجمة الأب الياس زحلاوي، ط2، (بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، 1985)، ص95.

أما دوركهايم فقد اعتبر ان أن العنف ظاهرة ثقافية مرتبطة بتطور البنى الاجتماعية و بالتطور الاجتماعي و الانتقال من أشكال التضامن الآلي إلى التضامن العضوي¹⁸ .

ويعتبر جورج زميل أبرز من تعامل مع ظاهرة العنف باعتباره مجموعة تصرفات عدائية تصدر عن الأفراد اتجاه الآخر ، استنتج ان التصرفات العدائية تعتبر تصرفات وظيفية من اجل تماسك النظام الاجتماعي؛ لأنها تساهم في استمرار العلاقات تحت ظروف التوتر والضغط، فالسلطة الناتجة عن الضغط و القوة تساهم في الحفاظ على تماسك انسق و استمراريته و غياب الضغط يقود إلى الفوضى و التشتت. فالضغط يمنع انحلال النظم الاجتماعية و الجماعات البشرية ، وبالتالي فهو - العنف - شبيه بصمامات الأمان (19).

هناك نظريات سوسولوجية اعتبرت ان العنف هو ناتج الأنظمة السياسية سواء الرأسمالية او الاشتراكية ، فالنظام الرأسمالي يسحق الذات الفردية لاسيما نتيجة التفاوتات الطبقية والشيعوية عملت على سحق الذات الفردية، مما يعني أنهما نظامان ساهما في إنتاج العنف بكافة أشكاله و مستوياته.

عموما فالدرس السوسولوجي في مناوئته لمفهوم العنف ينطلق من فكرة عن نسبية العنف المرتبط بنظام المعايير و القيم الاجتماعية الخاصة بكل مجتمع . بمعنى أن كل نظام يحدد قيمه الخاصة التي تبين الحدود التي ينبغي ان يكون عليها التصرف و السلوك الفردي و الجماعي ، من اجل بناء النظام الاجتماعي و الحفاظ عليه ، وان كل خروج عن القيم و المعايير التي تصنع النظام تقود إلى إنتاج العنف و صناعة الفوضى.

فالعنف وفق المدلول السوسولوجي يكون نتيجة العلاقة المتوترة بين قهريه القيم الاجتماعية و الرغبة في التمرد و عدم الخضوع و الامتثال لها .

وفق ماسبق فان العنف هو تصرف خارج النظم و القيم و المعايير الاجتماعية المحددة للنظام، و يحيل إلى كل تصرف يمثل اختراقا قسديا أو عفويا لمعايير العقل الجمعي و قيمه.

فالشغب و العنف الرياضي من الناحية السوسولوجية هو محاولة اعتداء على الإطار القيمي المنظم للأنشطة الرياضية و الاجتماعية، و التي تهدف إلى خلق أجواء من المتعة و الفرجة.

فالعنف يشكل عنصر اعتداء مادي على القيم مما يقود إلى تحويل الفرجة إلى أزمات، و شغب و خسائر و اعتداءات على الأرواح و الممتلكات، نتيجة الفرح المبالغ به في حالات الفوز، او نتيجة عدم قبول النتيجة او الاستنكار و الرفض و الاعتراض و الرفض. فالشغب داخل الملاعب الرياضية يدل على نوع التحرك الفجائي والذي ينتشر بسرعة في المدرجات و خارجها.

حيث يصير الشغب احتجاجا بديلا عما يعانیه المحتجون من تمهيش و إقصاء، مما يجعل منه احتجاجا سياسيا، و لو في اطار زمني مؤقت و ضاغط عبر رسائل قصيرة تكون محملة في الأغاني و الأهازيج، في هذا السياق نذكر أغنية الرجاء البيضاء في بلادي ظلموني و التي تحولت إلى أغنية تملأ الساحات العمومية و الفضاءات العامة، وأصبحت أغنية تلازم كل حركة احتجاجية في الشارع .

فالأغنية تحمل رسائل سياسية بالغة و دقيقة تشكل رؤيته الخاصة من الواقع العام الذي يعيشه الشباب و موقفهم مما يجري. فالأغنية تكشف مواطن الإعطاب في السياسة العامة للبلاد، وهي رسالة ينبغي قراءتها من اجل التعامل معها لاسيما في ضل تراخي و ضعف مؤسسات الوساطة السياسية ، وهشاشة الفعل الحزبي و ضعف قدراته التنظيمية و التأثيرية للشباب.

هناك محاولات كثيرة لفهم أسباب العنف المحيط بالملاعب و ان هناك قلق أصبح متزايدا حول هذا الواقع المرعب. كل المؤشرات تكشف ان ملاعب كرة القدم أصبحت تمثل فضاء سياسياً بامتياز من خلال نوع وطبيعة الشعارات التي ترفع و حجم التحديات الامنية المرتبطة بتدبير الزمن الرياضي المخصص للمباريات.

¹⁸ علي أسعد وطفة: بنية السلطة وإشكالية التسلط التربوي في الوطن العربي (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1999)، ص146.

¹⁹ أرفنج زاينلن: النظرية المعاصرة في علم الاجتماع، ترجمة محمد عودة وآخرون (الكويت: ذات السلاسل، 1989) ص: 180-181.

فالشعارات التي ترفع تتجاوز ماهو رياضي، وإنما تعمل على توظيف ما هو رياضي لتمرير رسائل سياسية، اغنية في بلادي ظلموني نموذجاً.

فالعنف المرتبط بالملاعب مرتبط بوجود بيئة مناسبة لان الرقابة الاجتماعية و المؤسساتية المرتبطة بأجهزة الدولة تصبح غير فعالة نتيجة تشتيت المسؤولية و تعويمها و ارتفاع منسوب الحماسة الجماهيرية، و ان الرقابة تشتت داخل الجماهير، وبالتالي تضعف المسؤولية الفردية، وتعوّض بالحماسة الجماهيرية، وهو ما يمنح الجمهور و المتفرجين إطاراً حمائياً من اية متابعة، مما يساعد مواصلة الاحتجاج و التعبير العنيف من اجل توجيه رسائل سياسية من غير الممكن تمريرها، او التعبير عنها خارج زمن الملاعب.

فالملاعب يوفّر الاطار النفسي والاجتماعي للاحتجاج والتعبير والرفض وحتى المواجهة والعنف و التمرد ضد مؤسسات الدولة. غوستاف لوبون من خلال كتابه الموسوم بـ"سيكولوجية الجماهير" قدم تصورات توطر وضعية الجماهير و مجموعات الألتراس، حين أكد ان معدلات الانفعال تكون عالية لدى الجماهير، مما يعني فقدان السيطرة على الذات و تكريس سلوك انفعالي و اندفاعي، لان الفرد داخل الحشود سيفقد قسديته و ادراته أثناء الفعل الجماهيري، و يجد نفسه خاضع لإرادة الجمهور و مسلوب الإرادة و جزءاً من ذهنية عامة لها قوانينها الخاصة و المتحركة في الأفراد و في تصرفاتهم، القوة الحماسية للجمهور يصعب التحكم فيها و بالتالي تصبح محفزاً لتعبئة الأفراد و الجماعات.

و فق رؤية لوبون فان قائد الألتراس هو الشخص الذي يملك كاريزما التأثير على المجموعة، و يعمل على حسن توظيف و استثمار تصورات لوبون من اجل ضمان المزيد من التحكم، و ضمان اتساقها في إطار من الفعالية سواء كان ذلك بوعي منه و بدون وعي. السؤال الأساسي الذي يطرح ماذا لو لم يتمكن القائد من التحكم في انفعالات الألتراس، لان الفعل الاحتجاجي غالباً ما يندلع في لحظات خاصة، و في حالة توفر الظروف المناسبة للتعبير عن نفسها، لاسيما في الحالات الضاغطة كالهزيمة مثلاً و هي لحظات تكون شديدة التوتر، و شديدة الانفعال مما يقود إلى تهيئة أجواء تفجير العنف عنف كبير. ما يميز العنف و الاحتجاج الجماهيري المنطلق انه احتجاج تطوري ينطلق من شعارات بسيطة تم شعارات عنيفة و بعدها العف المادي بكافة اشكاله.

فلاحتجاج الواقع هو إحالة إلى واقع نفسي و مكبوت جماعي وجد فرصته للظهور و التعبير عن ذاته، لان كل فعل احتجاج هو تصريف لواقع يحتزن بوادر الأزمة المجتمعية و تعقيداتها المركبة، وهو ما يعني ان العنف بالملاعب الرياضية هو عنف مجتمعي لم ينزل من السماء و أنها هو نتيجة تراكمات و مسلسل من الاحباطات اليومية.

الفعل الاحتجاجي هو فعل سياسي، أنه أداة تعبير عن مواقف سياسية لم تجد المناسبة و الإطار الملائم لتصريفها، لاسيما في ظل الموت السريري للمؤسسات الواسطة لاسيما الجمعيات و الأحزاب السياسية الموكول إليها مهام التطير.

أمام ضعف الأحزاب السياسية و عدم قدرتها على ممارسة التأطير السياسي و الحزبي لاسيما لفئة الشباب، والذي وجد نفسه خارج المؤسسات الاجتماعية و مؤسسات الواسطة، و جد نفسه وحيداً يعبر عن نفسه في المناسبات الخاصة : الملاعب الرياضية نموذجاً. فالملاعب و الجماهير و العقل الجمعي تمنح أرضية ملائمة للتعبير عن الذات الفردية و الجماعية بكافة أوجاعها و آمالها و احباطاتها نستحضر دائماً رمزية اغنية في بلادي ظلموني.

إن الاحتجاج بهذا المعنى يعد فرصة لتفريغ المكبوت السياسي، فالانخراط في المجموعة التشجيعية او الالتراس يساعد الفرد على امتلاك مزيد من الجرأة بحسب غوستاف لوبون، هذه الجرأة الزائدة و المؤمنة بفضل الانتماء الجمعي للحشود تمكن من تصريف الشحنات المكبوتة و التحرر من الخوف و اكتساب ثقافة و شرط المواجهة و التحدي، و منه يتحول الموقف الاحتجاجي في كثير من الأحيان إلى فضاء للتفريغ السيكولوجي أكثر منه فضاء للمطالبة بالتغيير.

الدرس السوسولوجي يؤكد أن العنف يولد عنفا محتملا، و ان العنف في الملاعب ليس عنفا من خارج البنية الاجتماعية و انما هو سلوك تعبيرى لشباب يعاني مشكلات حياتية، وأن المجتمع ينظر لهم نظرة عدم تقدير باعتبارهم شباب بلا قيمة ، عديمو المسؤولية، وينشغلون بأمر صغيرة لا قيمة لها.

وفي حقيقة الأمر، فإن غالبية هؤلاء الشباب يعانون من الفقر، والبطالة، والإقصاء، والنهميش الاجتماعي، الأمر الذي يجعل من ظاهرة تشجيع كرة القدم حالة تنفيس، وشكل من أشكال التمرد الاجتماعي على الأوضاع السائدة. ملاعب كرة القدم أصبحت شبيهة بعيادات الطب النفسي من اجل استعادة المكبوث و ملاذاً لهؤلاء الشباب، الذين يفضلون الاحتجاج كوسيلة تعبير عن أنفسهم كوسيلة لمقاومة كل أشكال التعسف و الاهتمام.

4-5 : الهوية الاجتماعية للألتراس.

الألتراس ظاهرة أصبحت واقعا، هي مجموعات تشجيع خاصة بكل فريق رياضي تصنع فرجة في الملاعب لكنها في احيان كثيرة أصبحت مصدر عنف. فالألتراس هي جماعات تشجيعية تحرص على تشجيع الفريق، عن طريق شعارات وأغان وألوان خاصة بها. وتقوم فلسفتها على التشجيع الدائم لفريقها و هو تشجيع يقترب من درجة التعصب من اهم مبادئهم التشجيع المتواصل للفريق بغض النظر عن النتيجة فوزا او هزيمة، و التشجيع وقوفا و الحضور الدائم و التتبع لكل مباريات الفريق سواء داخل الملعب او خارجه .
فمفهوم الألتراس كلمة لاتينية الأصل تعنى حرفيا الفائق أو الزائد عن الحد، أما المعنى الشائع فهو فئة من مشجعي الفرق الرياضية معروفة بانتمائها وولائها الشديد للفريق و تحمل اسما خاصا و تضع شعارا خاصا بها يكون بمثابة رمز لهويتها، فالألتراس تعني التشجيع الزائد عن الحد أنها التشجيع الجنوني .

و يعتبر الكابو او القائد الذي يقود تشجيعات الألتراس: يقود التشجيع والذي يكون مسؤولا عن اختيار الأغاني والتهافتات وتوقيتها وحركات الأيدي والتشكيلات، وعادة ما يكون مكانه بارزا في الملعب حتى يستطيع التواصل مع الجميع و يضمن الاتساق و الانسجام في كل الأنشطة التشجيعية.

كما تتميز ثقافة الألتراس بما يسمى بالموكب وهي مسيرة تضم أفراد المجموعة خلف اللافتة التي تحمل شعار المجموعة التشجيعية . أما مفهوم التيفو: Tifo فهي كلمة ايطالية تعنى المشجع، ويقصد بها افتتاح النشاط التشجيعي و يتم فيه رفع شعار الألتراس و الرسائل التشجيعية للفريق و كل ما يتعلق بالندي و تاريخه.

فالسلك التشجيعي لألتراس هو سلوك جماعي من خلال تغيب قيم الفر دانية، واعتبار أن قيمته تحدد في الخراطه في المجموعة و ذوبانه فيها.

وهو ما يفسر ظهور أفراد الألتراس عادة ملثمي الوجوه، إشارة إلى ان الألتراس هي فعل جماعي. و لعل أهم ميزة اجتماعية تميز مجموعة الألتراس هو الولاء المطلق للمجموعة و هو ما يؤسس عصبية رياضية مؤسسة على حب الفريق و قيم الفريق وهو ما تعكسه الشعارات المرفوعة (20).

²⁰ بالتضحية والإخلاص نعيش حياة الألتراس”

ان العصبية المؤسسة لمجموعة الألتراس تشكل سببا إضافيا لتغذية العنف لاسيما حين يتعلق الأمر بحالة إحباط او مس بهوية الفريق او احد رموزه. كما أن اختيار اسم الألتراس و شعاره ليس تلقائيا ولا عفويا و انا هو اختيار وظيفي ومدروس و مؤسس على خلفيات ثقافية سواء بشكل شعوري او غير شعوري ، و يمكن التوقف عند بعض الأمثلة مثلا:

ان اغلب الأسماء تدل على القوة و الصلابة و الشجاعة و حتى قيم الافتراس مثل : القرش، الفدائي، النمر، النسر، الحربي أو العسكري، وقليلة هي الجماعات التي تفضل قيم السلم كما هو الحال بالنسبة الألتراس المغرب التطواني. و من المفارقات ان الالتراس المغرب التطواني و رغم انه يحمل صفة للسلم ، فانه تورط في أكثر من مرة في اعمال عنف و شغب.

نتائج الدراسة :

خلصت الدراسة إلى مجموعة من النتائج منها ان العنف الرياضي يعتبر شكلا تعبيريا عن اختراق لنظام القيمي و صناعة للفوضى، و نتيجة اختراق غياب محددات الضبط القيمي و الاجتماعي و القانوني و التي تحدد ضوابط السلوك بما يحقق الاستقرار و الانسجام بين السلوك و القيم.

ميزة الشغب الرياضي و عنف الملاعب لا سيما في مباريات كرة القدم انه يندلع بشكل فجائي و يتجاوز سقف مسبباته ، و شروط إنتاجه المباشرة ، مما يجعل منها عنفا لحظيا و اندفاعيا يصعب التحكم فيه يتميز بمبايلي:

اولا : عنف مجالي : ما يميز عنف الملاعب انه عنف مرتبط بالملاعب أي بمجال جغرافي محدود و مراقب، فهو مرتبط بكل ما يتعلق بالملاعب و محيط الملعب و الطرق المؤدية اليه.

ثانيا : عنف غير محدد اجتماعيا: ان اغلب المشاغبين لا يمثلون فئة متجانسة من حيث الفئات الاجتماعية و الوضع الاجتماعي و المهني.

ثالثا : عنف شبابي ذلك ان اغلب المشاغبين من فئة الشباب و هو ما يجعله عنفا شبابيا.

رابعا : عنف تعويضي : تعتبر بعض الدراسات ان هذا النوع من العنف يشكل فرصة لتفريغ المكبوتات و يشكل الية للتفريغ و التنفيس عن الذات المثقلة بإكراهات الواقع و صرامته.

خامسا: عنف غير مدروس : إن الجماهير المحتجة لا تحتج بناء على خطة مسبقة ، و حتى إن وجدت هذه الخطة، فإنه لا يتم الانضباط إليها كلية، ان العنف المنفلت هو عنف فجائي وجد الفرصة المناسبة للخروج و التعبير عن نفسه.

سادسا : ان اسباب العنف و الشغب الرياضي و ما يصاحبه من تدمير و خراب و اعتداء على الممتلكات العامة و الخاصة متعددة و يصعب حصرها في عامل وحيد ، و انا هو نتيجة مجموعة عوامل نفسية و لاشعورية و اقتصادية و قيمية تتداخل لتنتج ظاهرة معقدة.

سابعا : عنف ذكوري ، اتضح من خلال الوثائق التي تمت دراستها ان العنف الرياضي هو عنف محصور على الذكور.

خاتمة :

العنف في الملاعب الرياضية ليس عنفا مستوردا لكنه نتيجة لعنف مجتمعي، هو عنف مبرر بأسباب و سياقات انتاجه، الأمر الذي يستدعي فهما دقيقا من اجل التعامل معه و إيجاد الحلول الواقعية و الممكنة.

غير ان إيجاد الحلول للعنف المتعدد الابعاد يستدعي فهما للظاهرة، و استيعاب مسبباتها من اجل القدرة على إيجاد حلول لهذه المشكلة الاجتماعية، و التي أصبحت تشكل تحديا امنيا في نهاية كل اسبوع مع ضرورة الانتباه الى محدودية المقاربة الامنية في معالجة مثل هذه الظواهر المعقدة، و بالتالي العمل على تغيير البنية التحتية المنتجة للظاهرة و ليس مواجهة آثارها.

المراجع :

- 1- إدواردوغاليانو، كرة القدم بين الشمس والظل، ترجمة : صالح علماني، دار طوى للنشر، 1995 .
 - 2- أرفنج زابتلن: النظرية المعاصرة في علم الاجتماع، ترجمة محمد عودة وآخرون (الكويت: ذات السلاسل، 1989) ص ص: 180-181.
 - 3- عبد الرحمن بن محمد بن خلدون: مقدمة ابن خلدون، تحقيق علي عبد الواحد وافي، ج2، ط3، (القاهرة: دار تحضة مصر، بلا سنة طبع)، ص482.
 - 4- فيليب برنو: العنف وعلم الاجتماع، في المجتمع والعنف، تأليف فريق من الاختصاصيين، ترجمة الأب الياس زحلاوي، ط2، (بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، 1985)، ص95.
 - 5- بيير بورديو، الهيمنة الذكورية، 2009 ترجمة سلمان قعفراني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت،
 - 6 -علي أسعد وطفة: بنية السلطة وإشكالية التسلط التربوي في الوطن العربي (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1999)، ص146.
- 6BOURDIEU(P) : Le sens pratique . Edition de minuit. Paris. 1980.p.88.